جمالية العناصر الزخرفية في المصاحف ببلاد المغرب الاسلامي.

The aesthetics of decorative elements in the Qur'ans of the Islamic Maghreb.

ريمة شلحاوي[1،*]، شريفة طيان[2]
[2.1] جامعة الجزائر02 (الجزائر)
chelhaouiryma@hotmail.fr [1]

تاريخ الاستلام : 2025-09-15؛ تاريخ المراجعة : 2025-11-30 ؛ تاريخ القبول : 2026-03-31

ملخص :

تعتبر زخرفة المصاحف او ما يعرف بفن المصاحف– وان صح التعبير– من الموضوعات المهمه في مجال الاثار الاسلاميه بشكل عام والفنون الزخرفيه بشكل خاص، لما تحمله من دلالات روحية وجمالية كبيرة، وكذا باعتباره اللبنه الاولى والقاعدة الاساسيه التي يجب ان يرتكز عليها الباحث او الدارس لفنون الكتاب. رغم انه يبقى موضوعا ثانويا لم يحظ باهتمام كبير من قبل الباحثتين إلا ان المصحف الشريف عرف في الحضارة الاسلاميه اهتماما بالغا وعناية فائقة من طرف الامراء والخلفاء والحرفيين وعامه الناس، نظر لقيمته الدينيه ولاعتبارهم انه احد السبل الى تعاطيهم الدين. فتفننوا في زخرفته وتذهيبه وتجليده مستعملين في ذلك مختلف المواد من رق وورق وذهب.

الكلمات المفتاحية : المصاحف؛ التذهيب ؛ المخطوطات القرآنية؛ العناصر الزخرفية؛ المغرب الاسلامي ؛فنون الكتاب.

Abstract :

The art of the Qur'an is, if we may say so, one of the most important subjects in the field of Islamic antiquities in general and decorative arts in particular, as it is the first building block and fundamental basis on which the student of arts book must focus on . Although it remains a secondary subject that has not received much attention from researchers, the Holy Qur'an has been the subject of great interest and care in Islamic civilization from the part of princes, caliphs, craftsmen and the general public, given its religious value and their consideration of it as one of the means of practicing their religion. They excelled in decorating, gilding and binding it, using various materials such as parchment, paper and gold.

Keywords: Qur'ans; gilding; Qur'anic manuscripts; decorative elements; Islamic Maghreb; book arts..

I– تمهيد :

تعد العناصر الزخرفية في المصاحف الاسلامية لبلاد المغرب من ابرز مظاهر الفن الاسلامي والتي تعكس هوية ثقافية وفنية متفردة. فكانت هذه الزخارف جسورا بصرية بين النص القراني المقدس والغلاف الجمالي الذي يحيط به.حيث امتزجت فيه الزخارف النباتية والهندسية بشكل متناغم تعبر عن روحانية وتقاليد جمالية عميقة. تميزت زخارف المصاحف المغربية الاسلامية بتنوعها ودقتها، متأثرة بالتقاليد المحلية، وفي الوقت نفسه متصلة بالمدارس الفنية المشرقية والأندلسية، فالزخارف في المصاحف المغربية ليست مجرد تزيين بل تحمل دلالات فنية ورمزية تعكس التراث الثقافي والديني في بلاد المغرب الاسلامي و تستند الى التناسق والتناغم بين الخط العربي والزخارف النباتية والهندسية، وعليه تتمحور الاشكالية حول دراسة وتسيير الابعاد الجمالية والفكرية لزخارف المصاحف لهذا السياق التاريخي والثقافي المتميز. والبحث عن كيفية تجسيد هذه الزخارف لقيم فنية وروحية وعلاقتها بالفكر الاسلامي؟

1. المصحف الشريف وجمع القرآن الكريم:

ان الحديث عن المصاحف في بلاد المغرب الاسلامي يجرنا الى الوقوف عند بدايات الوحي الاسلامي الى محمد صلى الله عليه وسلم، وبدايات المخطوطات القرآنية في بلاد المشرق الاسلامي مرورا بتاريخ جمع القران الكريم . فالقران الكريم كلام الله وكتابه الذي اجتمع حوله المسلمون في مشارق الارض ومغاربها، انزل وحيا منجما في ثلاثة وعشرون سنة، واستنادا

لقوله تعالى في سورة الحجر الاية 9: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾. جاء القران الكريم محفوظا من عند الله تعالى من التغيير والتبديل على امتداد الزمان والمكان. ولقد هيأت الاسباب العظيمة لذلك من خلال نوعيين من الجمع تما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهما جمعه في الصدور وجمعه في السطور. فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تثبيت النص القراني محفوظا مسجلا وعمد بنفسه الى تلقينه للحفاظ وإملائه على كتبة الوحي، حيث كتبت اياته على الرقاع والعظام وعسب النخيل واللخاف والرق غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور.[1]

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، تولى الخلافة ابو بكر الصديق -رضي الله عنه-ولكن فترة حكمه عرفت الفتن وقيام حركة الردة وما صاحبها من قتل للصحابة ،خاصة معركة اليمامة (11هـ-632م) التي كانت اكثر الحروب ضراوة وأكثر ما وقع فيها من الشهداء والحفاظ. فجمع القران الكريم مرة ثانية وأصبح مكتوب على الرق مرتب بين دفتين، [2] وكان ذلك باقتراح من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقد ورد عن ابي داود السجستاني رواية عن زيد بن ثابت: « **بعث الى ابي بكر الصديق [بعد] مقتل اهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال ان عمر بن الخطاب اتاني فقال: ان القتل قد استحر بقراء القران يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قران كثير وان ارى ان تامر بجمع القران فقال ابو بكر لعمر: كيف افعل شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري كما شرح صدر عمر ورأيت الذي رأى** » [3]

فتم جمعه في صحف، واغلب الظن ان زيد بن ثابت في كتابته كان يترك فراغا بين كل اية وأخرى اوسع بكثير من الفراغ الذي كان يتركه بين كلمة وأخرى، واتبع نفس الطريقة في الفصل بين السور بعضها البعض، فترك فراغا اوسع بقليل من الفراغ الذي كان يتركة بين كل سطريين متتاليين. [4]وهكذا جمع كلام الله مرتب الايات غير مرتب السور، وبقيت هذه الصحف عند الخليفة ابي بكر الصديق – رضي الله عنه- مدة حياته، ثم انتقلت الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وبقيت عنده الى مقتله، ثم انتقلت الى السيدة حفصة بنت عمر. وفي عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (30-35هـ/644-656م) اتخذت خطوة حاسمة في تاريخ المصحف الشريف وهو عند الاجتماع لغزوة اذربيجان وأرمينية سنة (30هـ- 644م)، التقى اهل الشام بأهل العراق وتذكروا القران الكريم واختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم قتلة ، فركب حذيفة بن اليمان لما رأى من اختلافهم في القران الكريم الى عثمان بن عفان وقال له: « **ان الناس قد اختلفوا في القران حتى والله لأخشى ان يصيبهم ما اصاب اليهود والنصارى في الاختلاف**»، ففزع عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فزعا شديدا.[5]

جمع الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الصحابة واستشارهم في ذلك، فاجمعوا على ضرورة عمل نسخ من القران الكريم ترسل للأمصار لتكون اصلا للكتابة والقراءة يرجع اليه كلما دعت الحاجة الى ذلك، ولعل المنطلق كان من مصحف ابي بكر -رضي الله عنه- حيث دعى عثمان بن عفان وأرسل الى حفصة بنت عمر ام المؤمنين طلبا على المصحف، فأخذه منها وكلف بالكتابة مجموعة من الصحابة كزيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وزيد بن الحارث، وبعد الفراغ من الكتابة ارسلت نسخ من المصحف الذي امر بكتابته والذي اصبح يعرف فيما بعد بالمصحف الامام الى الامصار واحرق ماسوى ذلك ، [6]واجمعوا على انها اربعة وهي كالتالي مصحف المدينة والشام الكوفة والبصرة . [7]

الصورة (1): المصحف الشريف المنسوب الى عثمان بن عفان تحقيق طيار التى قولاج،

مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول،2007.

ولعل الصورة الاولى لتلك المخطوطات القرآنية التي اختلف في تحديد عددها ، كانت مكتوبة على الرق باعتباره من المواد المقاومة لعوامل الدهر والأكثر استيعابا للنص، مجردة من النقط والشكل، مجلدة بأبسط صور التجليد من لوحتين او دفتين من الخشب مجرد بدوره من الحلي او الزخارف. وهذا امر بديهي، اذ انه من المتعارف عليه ان النقط والشكل بدأ في عهد بني امية، اين بدأت بواعث الاشفاقمن اللحن في قراءة القران تظهر شيئا فشيئا ،[8] ولهذا قام ابو الاسود الدؤلي البصري (ت 89هـ) بنقط المصحف نقط الاعراب والتي كانت عبارة عن نقاط حمراء توضع فوق الحرف او تحته للدلالة عن الحركة. فنقطة فوق الحرف تعني الفتحة ونقطة بين الحرفين تعني الضمة اما النقطة تحت الحرف تعني الكسرة. ومن هنا انتقل النقط من البصرة الى المدينة ومنها الى بلاد المغرب والأندلس،وظهر بعدها نقط اعجام الحروف للتفريق بين المتشابه منها ، وكان ذلك في زمن عبد الملك بن مروان (86هـ) ، إلا ان اجتماع كل من نقط الاعراب ونقط الاعجام في نفس الوقت اصبح من الامر المعقد والمجهد سواء للكاتب او القارئ، ففي فترات لاحقة أي في العصر العباسي الاول تمكن من تيسير الكتابة العربية علي يد الخليل بن احمد الفراهيدي في ابدال النقط التي وضعها ابو الاسود الدؤلي بالحركات الاعرابية التي نعرفها اليوم .

الصورة (2): مصحف منقط بطريقة ابي الاسود الدؤلي.

2. تاريخ المصحف الشريف في بلاد المغرب الاسلامي:

بعد فتح عمرو بن العاص مدينة طرابلس توجه عقبة بن نافع الفهري نحو افريقية سنة (41هـ) لكنه لم يفتحها، ولما تولى معاوية بن ابي سفيان الامارة وجه عقبة بن نافع الفهري الى افريقية وافتتحها واختط مدينة القيروان، [9] فجاءت ابرز مهامه تفقيه اهل البلد المفتوح وتعليم مبادئ الدين الجديد، كما ركز على بناء المسجد الجامع، الذي عمر فيما بعد بذكر الله تعالى، وشرع حفاظ القران الكريم بتعلم كتاب الله العزيز. ويعتبر المصحف العقباني اول مصحف تعرف عليه المغاربة ومما نسخ من المصحف الامام، [10] ومن المعلوم ان المصاحف دخلت الى بلاد المغرب الاسلامي مواكبة للفتوحات الإسلامية، فكان القران الكريم محفوظا في الصدور مكتوبا في المصاحف، وتوجه عدد من طلبة القران الكريم الى كتابته ونسخه مبكرا. ومن هنا نستنتج ان دخول المصحف الشريف الي بلاد المغرب كان مع دخول الاسلام نفسه الى المنطقة، واستقر بها، وظهرت نسخ منه وانتشر بانتشار التوسع الاسلامي والعلوم القرآنية، واستمر تداول المصحف الامام بالمغرب الاسلامي الى ان جاء عبد الرحمن الداخل وأسس الدولة الاموية بالأندلس فأوقفه على جامع قرطبة [11]ومزال على هذا الحال طول مدة حكم الدولة الأموية ودول ملوك الطوائف ودولة المرابطين الى ان جاء عهد الموحدين، اين احتفل عبد المؤمن بن علي (487هـ–558هـ) بكسوة المصحف العثماني، وكان من زمن من شارك في صنع كسوة المصحف الشريف بكر بن ابراهيم الاشبيلي صاحب رسالة التيسير في صناعة التسفير [12]ثم اصبح بعد ذلك الى الزيانيين والمرينيين ثم السعديين.

ولقد كانت من عاده ملوك بلاد المغرب الاسلامي وبعض حكامه انهم يخصصون وقتا من الزمن ينشغلون فيه بنسخ المصحف الشريف او يتولون الاشراف على كتابته، فهناك مصاحف قيل انها بخط المهدي بن تومرت، مؤسس الدوله الموحديه، محلية بالفضة ومموهة بالذهب،لكنه يعتبر حاليا ضائعا[13] وقد تشدد اهل بلاد المغرب الاسلامي في كتابه المصحف

الشريف بقواعد الرسم العثماني والكتابة الاولى التي كان عليها المصحف الشريف، واستنكروا كتابه المصحف بغيره [14] ومن البديهي ان يتبع هذا الالتزام نوع الوعاء أيضا فخصصوا الرق لكتابه المصحف الشريف والكتب الدينيه الهامه. كما تنوعت المصاحف وأشكالها فنجد الشكل القريب الى المربع والشكل الثاني يميل الى الامتداد عرضا، اما الشكل الثالث يكون فيه الارتفاع اطول من العرض وعرف هذا النوع من المصاحف بالمصحف العمودي. وأقدم المخطوطات القرانيه التي وصلت الينا بالشكل المربع مصحف تحتفظ به مكتبه جامعه اسطنبول عبد الله بن غطوس توفي سنة 610 هـ، وقد انفرد المغرب الاسلامي باتخاذ هذا الشكل من مصاحف القرن السادس هجري.

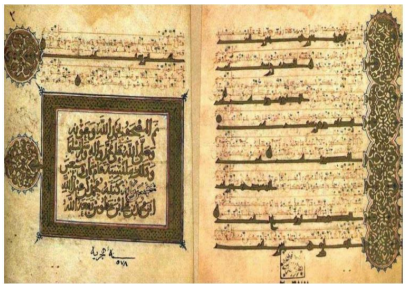

الصورة (3): مصحف ابن غطوس، مكتبة جامعة استانبول. قسم يلدز رقم: 6754

3. طريقه اعداد الرق ببلاد المغرب الاسلامي:

كان الصحابة –رضي الله عنهم– يستعملون في كتابة المصحف الشريف المواد التي كانت متاحة لهم والمتوفرة ببيئتهم ومن بين تلك الادوات نجد الجلود والعظام والحجارة ونحوها، كما كانوا يكتبون القران الكريم على الرقاع، والأكتاف، والعسب ، اللخاف، الاضلاع، والاقتاب، والكرانيف. غير ان الرق ظل من المواد المستعملة في كتابة القران الكريم دون غيرها قبل ظهور الورق. وسميت الجلود المستعملة للكتابة بعدة تسميات فنجد "الاديم" هو الجلد الاحمر او المدبوغ ، و"القضيم" هو الجلد الابيض الذي يكتب عليه، لكن شاع استعمال مصطلح "الرق" لكونها ترقق لكي يكتب عليها، وجاء ذكره في القران الكريم في سورة الطور، الاية 2: ﴿ **فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ**﴾

واستعمال الرق في بلاد المغرب الاسلامي قديم بقدم صنعة المخطوط المغربي الذي ارتبط ظهوره بتدوين المصحف الشريف ، وهذا ما جاء به المقدسي [15] حين تكلم على اهل المغرب وذكر ان جل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق ، واذا بحثنا في المصاحف الواردة والتي نسخت قبل القرن الرابع هجري نجدها كانت على الرق،واستمروا في استعماله خاصة في نسخ المصاحف الى غاية القرن التاسع الهجري، الى ان جاء الورق وفرض نفسه. فنجدهم كتبوا على الرق الأبيض والأزرق، والأحمر، والأصفر،والاخضر، ويبقى الابيض افضلهم والأكثر شيوعا.

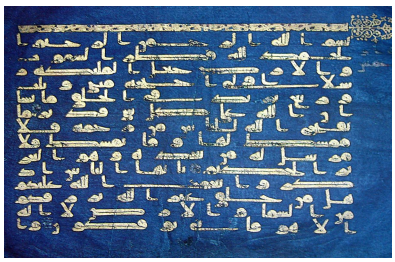

الصورة(4) : مصحف كتب على رق ازرق، متحف الفنون الاسلامية،

القيروان رقم Rutbi196

كانت اولى الخطوات في صناعه الرق هي حسن اختيار الجلد، اخذين بعين الاعتبار حالة الحيوان الصحية وعمر الحيوان، حيث تؤثر على جوده الرق فكلما كان الحيوان صغيرا كان نوع الرق اجود ،[16] ثم تأتي الخطوه الثانيه هي تهيئه الرقوق للكتابة هنا تبدأ بغمر الجلد في ماء الجير ليجف لعده اسابيع حتى تسهل عمليه ازاله الجلد والشعر والشحم واللحم العالق بها، وهناك طريقه اخرى ثانيه لنزع الشعر من الجلد كانت تستخدم في الكوفة وهي عبارة عن مادة تصنع من التمر وتعتبر افضل لأنها لا تسبب جفاف الجلد [17]تغسل بعدها مرارا حتى يتم التخلص من الجير او الكلس، ثم يتم بسط الجلد داخل اطار من خشب وتشد جوانبه بقوه الى هذا الإطار، ويتم حينها عمليه كشط الشعر واللحم بواسطة سكين هلاليه الشكل او حجر خاص.[18] بعدها يرطب الجلد بالماء الساخن وتزداد عمليه الشد في الاطار الخشبي، ثم يقطع الى قطع مناسبة حسب ما يريده الناسخون او العاملون عليه.

4. طريقه صناعه مداد الرق:

يعد المداد من اهم ادوات الكتابة التي ساهمت بشكل كبير في نقل المعرفة ، وسمي المداد كذلك لانه يمد القلم ويعينه[19] وقد ورد المصطلح في القران الكريم عند قوله تعالى في سورة الكهف الاية 109: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾،فالمقصود بالمداد هو مايمد به الدواة. وفي حقيقة الامر ليس لدينا معلومات حول بدايات صناعة المداد، بالرغم من انه وجد منذ البدايات الاولى للكتابة وعرفه العرب وجلبوه من الصين فبرعوا فيه وتنوعت مواده ، فاستخدموا المواد الحيوانية والمواد المعدنية وكان لكل حامل مداده الخاص حيث خص المداد المطبوخ للكاغد أي الورق والمنقوع للرق والمعصور للاثنين معا.[20] فقد كان يؤخذ من العفص المضرس الاسود السالم من الثقب ثلاث اوراق، ويدق في هاون دقه ناعما، حتى يصبح كالكحل ثم يوضع في خرقة حرير ويضع عليه ماء شديد السخانه مقدار نصف رطل ثم يترك في خرقته حتى يتمكن منه الماء، ويحك باليد حكا بليغا ويضاف اليه قدرا من ماء الزاج و يقطر كما يقطر العكر و يؤخذ ما قطر منه و يستعمل.[21] اما الاحبار الملونة فقد استخدم اهل بلاد المغرب الاسلامي الحبر الملون الى جانب الأسود خاصة في زخرفه المصاحف وضبطها وكانت اكثر الالوان شيوعا هي الاحمر والأصفر والأخضر والأزرق والذهبي. فللحصول على الحبر الاحمركان ياخذ زرنيخا احمر خالصا ويسحق سحقا ناعما، ثم خذ زعفرانا لا يكون فيه زيت ولا دهن ثم تصر الزعفران في خرقه نقيه وتجعل في ماء حتى تبلل الصره ثم تعصر على الزرنيخ ويتجعل فيه ماء العفص ويكتب به. وهو من الاحبار الاكثر استعمالا بعد الأسود فقد استخدم في كتابه الحركات والتنوين.[22] اما الحبر الاصفر فقد استخدم في رسم الهمزات والزخرفة، وطريقه اعداده هي ياخذ ماء العفص ويسحق فيه الزرنيخ الاصفر ويضاف اليه الصمغ مقدار الحاجه. بينما الحبر الاخضر فقد استخدم في كتابه همزه الوصل والشدات والسكون، وطريقه اعداده بسحق الزنجار (كربونات النحاس القاعدية) سحقا ناعما، ويغمر بالخل و الليمون ويترك حتى ينحل، ثم يضاف اليه قليلا من الزعفران الجيد المسحوق وقدر كافي من الصمغ.

الى جانب هذه المواد فقد استخدم الذهب ايضا في كتابة وزخرفة المصاحف باستعمال المداد الذهبي، والذي خصص لكتابة السور وزخرفة فواصل الايات وتوقيع الناسخ وغيرها من المواضع، ، كما استعملوا ايضا نوع من المداد العطري لكتابه المصحف الشريف مثل مصحفي ابي الحسن المريني بالقدس الشريف، وأبي العباس المنصور السعدي بالاسكوريال، حيث كتب الاول بمداد من فتيت المسك وعطر الورد، بينما كتب الثاني بفاءق العنبر المحكوك بماء الورد والزهر. [23]

5. بداية ظهور الورق في بلاد المغرب الاسلامي:

تبدا رحلة الورق في العالم الاسلامي من القرن الثاني للهجرة ، وهي تقنية صينية تعرف عليها المسلمون بعد فتحهم لسمرقند سنة 751/134م، من بعض الاسرى الصينين والذين كانوا يمتكلون سر هذه الصنعة، منه انتقلت الى مدينة بغداد حيث اسس اول مصنع للورق سنة 178هـ/794م، وانتقلت بدورها الى بلاد الشام في القرن الرابع الهجري، ومنها الى مصر ثم الى بلاد المغرب والاندلس. وفتحت بعدها عدة معامل لصناعة الورق لتوفير المادة نظرا للطلب المتزايد عليها ولتغطية

حاجيات. واستمر الاهتمام بالكاغد الى ان جاء الموحدون فكان بمدينة فاس اكثر من 400 معمل لصناعة الورق ، ولكن سرعان ما تراجعت هذه الصناعة نتيجة المجاعات والفتن التي عرفها المغرب الاسلامي اواخر الفترة الموحدية ، فخربت تلك المعامل الموجودة بحي الكغاطين.[24] وفي الفترة المرينية اخذ الورق يحل محل الرق وتركزت صناعته على يد المغاربة اكثرا بحيث مادة الورق من المواد الاولية الرخيصة الثمن مقارن بالرق الذي هومادة حيوانية غالية الثمن.

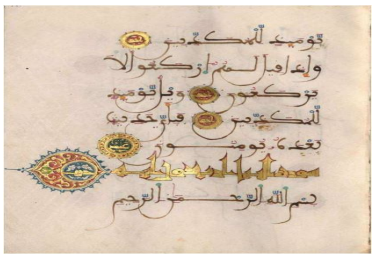

الصورة(5): مصحف ابي يعقوب المريني، مكتبة مقاطعة بافاريا، المانيا

6. نشأة وتطور زخارف المخطوطات القرانيه في بلاد المغرب الاسلامي:

في حقيقة الامر لم تصلنا معلومات دقيقه لمعرفه تاريخ ظهور العناصر االزخرفيه على صفحات المصاحف، وخاصه في فترات الأولى فكانت المصاحف الشريفه في بدايتها خاليه من اي صنف من اصناف الزخرفه والزينه، وذلك لقرب العهد من الفطره النبوية والخلافة الراشدة، ومن تبعهما بإحسان. فاقتصرت الحياة على ضروراتها وابتعدت عن الترف والبذخ، حيث انشغل المسلمون في بدايه الامر، بتثبيت دعائم الدين الاسلامي لشبهه التحريم ومخافه لإدخال الصور، وهو امر منهي عنه حتى لا ينشغل ذهن الخطاط بمراعاة جماليات اخرى وليصرف جهده الى الخط.[25] ومع اتساع الرقعه الجغرافيه للعالم الاسلامي وطول العهد، بدأت تظهر بعض الزخارف المبسطه كالخطوط المنحنيه والمتموجة حول صفحات المصحف، ثم جعل اطار حول النص ثم توسيع الامر الى تشكيلات زخرفيه كالدوائر والورود وأوراق الشجر.

وما يمكن ملاحظته أيضا ان في بداية الامر وعند كتابه القران الكريم في المصحف، لم تكن هناك فواصل بين السور إلا مساحات بيضاء تزيد قليلا عن قياس كلمة وهي نفس الطريقه المتبعه في الفصل بين السور فقد كان يجع بين كل سوره واخرى سطرين متتاليين، وكانت على هذه حالة المصاحف الاولى، خاليه من اي اضافه زخرفيه، وبعد ادخال الزخارف الى المصحف اخذ الفقهاء يحتجون على اضافات خارجة عن النص القراني، اذ قوبلت هذه الزخارف بالمعارضه الشديده في اول الأمر [26]ولم تات هذه الزيادات في عصر واحد، بل بالتدرجة وشق طريقه ببطء الى ان وصلت الى تحفه فنيه غايه في الجمال والتعقيد. وسرعان ما ذهبت هذه المعارضه عندما تبين الغرض وما تؤديه تلك الزخارف من دور هام في المصحف الشريف. إلا ان زخارف البداية والنهاية لم تلق تلك الموافقه وذلك لان الغرض منه جمالي.

بدأت فواصل الايات بنقاط ثلاث سوداء بعد ان كانت تترك فارغه بمقدار كلمه واعتبروها من الزخارف، ثم استخدم حرف الخاء حلزوني لكل خمس ايات وسموها التخميسات، وحرف العين لكل عشر ايات وسموها التعشيرات، اما هوامش الصفحات فكانت عبارة عن زخارف هندسيه في وسطها كلمه حزب او سجده. [27] كما عني اهل بلاد المغرب بفنون الكتاب، وعرف اواخر القرن الرابع الهجري البدايات الاولى لتذهيب وزخرفة المخطوطات واستقلاليتها عن نظيرتها في المشرق الى ان بلغت اوجها في القرن السابع الهجري سواء من حيث الدقة اوالاتقان او الجمال.

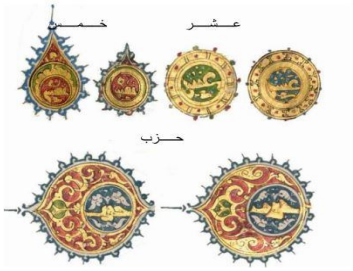

الصورة (6): الاخماس والاعشار والاحزاب في مصحف ابي يعقوب المريني

7. خصائص المصاحف في بلاد المغرب الاسلامي:

ما ميز كتابة وزخرفة المصاحف في بلاد المغرب الاسلامي مجموعة من النقاط هي كالتالي:

- اهتمام سلاطين بلاد المغرب الاسلامي بالمصحف الشريف ومن مظاهره كتابة القران بخط يد السلطان نفسه.

الصورة(7): ربعة المرتضي الموحدي، خزانة ابن يوسف، مراكش خبطة، المصاحف السلطانية

- اعتبار المصحف من اشرف وأقيم الهدايا التي تقدم ضمن المواكب الرسمية والعلاقات السياسية، وتكلف امراؤها بوقفها على المساجد والمؤسسات الدينية ، مثل المسجد الاقصى.
- الاهتمام بجودة كتابة وزخرفة المصاحف باختيار اجود انواع الخطوط والزخارف والتذهيب والتلوين، مع تشجيع الفنانين واهل الصنعة .
- تأسيس خزائن وقفية تضم مجموعات كبيرة من المصاحف المخطوطة مثل خزانة القرويين بفاس.
- احتفاء امراء الدول المتعاقبة على بلاد المغرب الاسلامي وسلاطينه على تقديم احد المصاحف العثمانية امام مواكبهم في حلة بهية لإضفاء هالة من المشروعية الدينية والهيبة السياسية على ملكهم .
- قلة الزخارف على المصاحف خاصة تلك التي ترجع الى القرن الخامس والسادس الهجري ربما راجع الى تشدد المغاربة والتزامهم بتعاليم ونهج اهل المدينة في كتابة المصاحف .

الصورة(8): مصحف فاطمة حاضنة المعز بن باديس

المتحف الوطني للفن الاسلامي برقادة، تونس.

- صدارة العناصر الهندسية على العناصر النباتية في الزخرفة ، مع استعمال باقة من الالوان كالازرق والذهبي والاحمر والاخضر
- من العناصر الهندسية المستعملة نجد الضفائر والجدائل والدوائر والمربعات والمضلعات والاشكال النجمية .

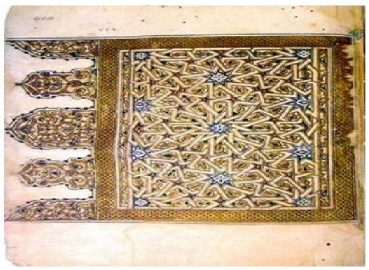

الصورة(9): الفاتحة الزخرفية لمصحف عبد الله الغالب السعدي

- من العناصر النباتية اسلوب التوريق كما نجد الاشجار والاوراق بانواعها والفروع والوريدات والمراوح النخيلية البسيطة والمزدوجة والكاسية.

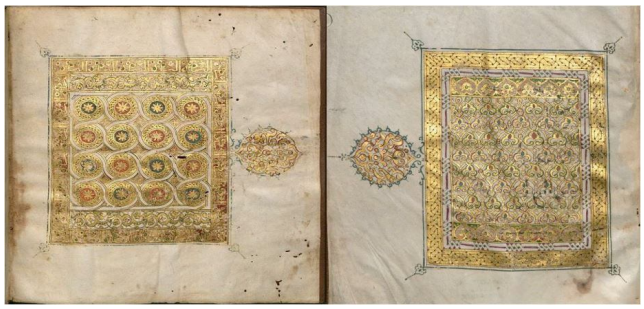

الصورة(10): صحيفتان من مصحف ابي يعقوب المريني كتب سنة 705هـ

مكتبة مقاطعة بافاريا، المانيا.

- احيط النص القراني في الصفحة بإطار مزخرف.
- فصلت الايات في بداية الامر بترك فراغ ثم استغل هذا الفراغ على هيئه مثلث، ثم زادت عدد النقاط الى ستة، ورسمت على شكل معين استبدلت في وقت لاحق ،ورسمت فوق بعضها ثم احيطت بدوائر الى ان صارت بعد كل خمس ايات دائرة تتضمن راس حرف الخاء وأصبحت تسمى بالتخميسات. وبعد كل عشره ايات دائرة تتضمن راس حرف العين وسميت بالتعشيرات واخيرا ملئت الدائرة بزخارف النجميه تتضمن في وسطها في بعض الاحيان رقم الاية، ثم تطورت الفواصل وأصبحت تتمثل خطوط رفيعة ونقاط وريدات صغيرة.

الصورة(11): شارات التعشير التخميس والسجدات

- قله الزخارف على المصاحف خاصه التي ترجع الى القرن الخامس والسادس هجري يرجع ان السبب في ذلك هو التشدد المغاربه وكراهيتهم للتزيين المصحف والخروج عن اصل المصحف الاولي.

- ظهور بداية من القرن السادس هجري عناون السور مزخرفة مع اضافة سعيفات هامشية تكاد تكون دائما ملونة باللون الذهبي او البني الغامق او الازرق.

الصورة(12): فواتح السور محاطة باطارات زخرفية

- قام الفنان بدمج العناصر الهندسيه مع العناصر النباتيه فقد ملا فراغات الاشكال الهندسيه لزخارف النباتيه وجعلها جزء من الزخرفة لا يمكن فصلها واستعمل الخط الكوفي في اسماء الصور بشكل فني اضفى على تلك الفراغات جمالا ورونقا.

IV- الخلاصة :

تتميز زخرفة المصاحف في بلاد المغرب الاسلامي بعدة جوانب فنية وثقافية تعكس لنا تاريخ وحضارة المنطقة. اولا، يتميز المغرب الاسلامي بتراث غني في كتابة المصاحف بخط مغربي مبسوط ، يتميز بالوضوح والبساطة والجمال، واستخدم على نطاق واسع في نسخ المصاحف. ثانيا، تزدان المصاحف المغربية بزخارف متنوعة تشمل عناصر هندسية ونباتية ملونة بالوان زاهية، خاصة بداية السور والاجزاء وتفاصل الايات، مع اطارات زخرفية غنية، اين استخدم فيها تقنيات متقدمة من التذهيب والتلوين مع استخدام مواد ثمينة من الذهب والفضة وجاءت الزخارف بها متجددة مغايرة عن نظيرتها في بلاد المشرق مايعكس الارتباط القوي بالبعد الروحي والتقديس للنص القراني.

- الإحالات والمراجع :

1. شهاب الدين القسطلاني، عثمان عامر السيد، و عبد الصبور شاهين. (1972). لطائف الاشارات لفنون القراءات ج1. المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية،ص51.
2. ايمن فؤاد السيد. (1997). الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات 2. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص291.
3. ابن ابي داود السجستاني، و محمد عبده. (2002). كتاب المصاحف. مصر، ص6.
4. محمد عبد العزيز مرزوق. (1970). المصحف الشريف دراسة تاريخية فنية. مجلة المجمع العلمي العراقي، صفحة 94.
5. ابن ابي داود السجستاني، و محمد عبده. (2002). كتاب المصاحف. مصر، ص21.
6. ابن الاثير، و تح أبو الفداء عبد الله القاضي. (1987). الكامل في التاريخ،ج3. لبنان: دار الكتب العلمية، ص112. ابن النديم. (بلا تاريخ). الفهرست، ص28
7. عبد الستار الحلوجي. (2014). الكتاب العربي المخطوط في نشاته وتطوره الى اخر القرن الرابع الهجري . الوعي الاسلامي، 69.
8. ايمن فؤاد السيد. (1997). الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات 2. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص297.
9. ابن عذاري المراكشي، ليفي بروفنسال، و ج.س كولان. (1983). البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب. بيروت: دار الثقافة.
10. مزراق محمد. (2022). رحلة المصحف العثماني الى بلاد المغرب الاسلامي من خلال تحليل نص تاريخي مقتبس من تاريخ بنو زيان ملوك تلمسان للتنسي. مجلة الموروث العدد2 ، الصفحات 24-44.

11. محمد شباح. (2014-2015). دخول المصحف الشريف الى بلاد المغرب الاسلامي. الجزائر: ماجستير ، كلية العلوم الاسلامية ، جامعة الجزائر01.
12. العربي لخضر. (بلا تاريخ). صناعة المخطوط في المغرب الاوسط على العهد الزياني. مجلة التراث، جامعة الجلفة، العدد 12، ص18.
13. الداني عثمان بن سعيد. (1960). المحكم في نقط المصحف. دمشق : وزاره الثقافه والارشاد القومي.
14. مريم احمد عباس الحربي. (2017). مصاحف الرق المغربيه والاندلسيه المحفوظه بمكتبه الملك عبد العزيز العامه في الرياض والمدينه المنوره، دراسه اثريه فنية رسالة ماجستير. المملكة العربية السعودية: قسم الاثار، جامعة الملك سعود،ص 51.
15. المقدسي محمد الشاري.(1991).احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم. بيروت، دار صادر ،ط3،ص239.
16. عبد الله محمد المنيف. (2000). استخدام الرق في كتابة المصاحف في العالم الاسلامي. مجلة الفيصل العدد 282، صفحة 51.
17. بن رسول يوسف. (1989). المخترع في فنون من صنع. الكويت: مؤسسه الشراع العربي، ص75-76.
18. القلوسي. (2007). تحف الخواص في طرف الخواص في صنعة الامدة والاصباغ والادهان. مصر: مكتبةالاسكندرية، 22.
19. بن رسول يوسف. (1989). المخترع في فنون من صنع. الكويت: مؤسسه الشراع العربي، ص27.
20. القلوسي. (2007). تحف الخواص في طرف الخواص في صنعة الامدة والاصباغ والادهان. مصر: مكتبةالاسكندرية، 27.
21. احمد شوقي بنبين. (2016). تبين علم المخطوطات والتحقيق العلمي، ص15.
22. ولاء خضير العوادي. (بلا تاريخ). اساليب التصاميم الزخرفية لفاتحة المصحف الشريف. مجلة كلية التربية للبنات العلوم الانسانية االعدد21، الصفحات 365-416.
23. مريم خالدي محمد غماز. (2022). تذهيب وزخرفة المخطوطات الدينية مخطوطات القران انموذجا. مجلة النص، المجلد9، العدد2، الصفحات 328-347.
24. ابن ابي زرع الفاسي.(1972). الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينةفاس.المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة،ص59.
25. ولاء خضير العوادي. (بلا تاريخ). اساليب التصاميم الزخرفية لفاتحة المصحف الشريف. مجلة كلية التربية للبنات العلوم الانسانية االعدد21، الصفحات 365-416.
26. صالح بن محمد بن رشيد. (2020). تحلية المصاحف وكتب العلم واليتها. مجلة البحوث الاسلامية العدد28، الصفحات 313-342.
27. مريم خالدي محمد غماز. (2022). تذهيب وزخرفة المخطوطات الدينية مخطوطات القران انموذجا. مجلة النص، المجلد9، العدد2، ص337.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

ريمة شلحاوي، شريفة طيان (2026)، **جمالية العناصر الزخرفية في المصاحف ببلاد المغرب الاسلامي**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 18(01)/ 2026، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة (ص.ص 49- 58).